

الجهل نوعان

الجهل نوعان : نوع يعذر به صاحبه ، ونوع لا يعذر به ، حقيقة جهلها الكثيرون قال ابن القيم : وَقَالَ سُبْحَانَهُ { وَمَنْ يَعِشْ عَنْ ذِكْرِ الرَّحْمَنِ نَقِيضَ لَهُ شَيْطَانًا قَهْوَهُ لَهُ قَرِينٌ وَإِنَّهُمْ لَيَصُدُّونَهُمْ عَنِ السَّبِيلِ وَيَحْسُبُونَ أَنَّهُمْ مَهْتَدُونَ } فَأَخْبَرَ سُبْحَانَهُ أَنْ مَنْ ابْتَلَاهُ بِقَرِينِهِ مِنَ الشَّيَاطِينِ وَضَلَّاهُ يَوْمَ ، إِثْمًا كَانَ يَسَبِّبُ إِعْرَاضَهُ وَعَشْوَهُ عَنْ ذِكْرِهِ الَّذِي أَنْزَلَهُ عَلَى رَسُولِهِ ، فَكَانَ عُقُوبَةَ هَذَا الْإِعْرَاضِ أَنْ قِيضَ لَهُ شَيْطَانًا يَقَارِنُهُ فَيَصُدُّهُ عَنِ سَبِيلِ رَبِّهِ وَطَرِيقِ فَلَاحِهِ ، وَهُوَ يَحْسِبُ أَنَّهُ مَهْتَدٌ ، حَتَّى إِذَا وَافَى رَبَّهُ يَوْمَ الْقِيَامَةِ مَعَ قَرِينِهِ ، وَعَايَنَ هَلَاكَهُ وَإِفْلَاسَهُ ، قَالَ : { يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بَعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبئْسَ الْقَرِينُ } وَكُلٌّ مِنْ أَعْرَاضِ عَنِ الْإِهْتِدَاءِ بِالْوَحْيِ الَّذِي هُوَ ذِكْرُ اللَّهِ قَلِيلًا بَدَأَ أَنْ يَقُولَ هَذَا يَوْمَ الْقِيَامَةِ .

فَإِنْ قِيلَ قَهْلٌ لِهَذَا عَذْرٌ فِي ضَلَالِهِ إِذَا كَانَ يَحْسِبُ أَنَّهُ عَلَى هَدًى كَمَا قَالَ تَعَالَى { وَيَحْسُبُونَ أَنَّهُمْ مَهْتَدُونَ } قِيلَ : لَمَّا عَذْرٌ لِهَذَا وَأَمثاله مِنَ الضَّلَالِ الَّذِينَ مَنْشَأَ ضَلَالَهُمُ الْإِعْرَاضُ عَنِ الْوَحْيِ الَّذِي جَاءَ بِهِ الرَّسُولُ ، وَلَوْ ظَنَّ أَنَّهُ مَهْتَدٌ ؛ فَإِنَّهُ مَفْرُطٌ بِإِعْرَاضِهِ عَنِ اتِّبَاعِ دَاعِيِ الْهَدْيِ ، فَإِذَا ضَلَّ فَإِنَّمَا أَتَى مِنْ تَفْرِيطِهِ وَإِعْرَاضِهِ ، وَهَذَا يَخْتَلَفُ مِنْ كَانَ ضَلَالَهُ لِعَدَمِ بُلُوغِ الرِّسَالَةِ وَعَجْزِهِ عَنِ الْوُضُوعِ إِلَيْهَا ، قَدْ أَكَلَتْهُ حُكْمٌ آخِرٌ ، وَالْوَعِيدُ فِي الْقُرْآنِ إِثْمًا يَتَنَاوَلُ الْأَوَّلُ ، وَأَمَّا الثَّانِي فَإِنَّ اللَّهَ لَا يَعَذِبُ أَحَدًا إِلَّا بَعْدَ إِقَامَةِ الْحُجَّةِ عَلَيْهِ ؛ كَمَا قَالَ تَعَالَى { وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا } وَقَالَ تَعَالَى { رَسُلًا مُبَشِّرِينَ وَمُنذِرِينَ لِئَلَّا يَكُونَ لِلنَّاسِ عَلَى اللَّهِ حُجَّةٌ بَعْدَ الرُّسُلِ } وَقَالَ تَعَالَى فِي أَهْلِ النَّارِ { وَمَا ظَلَمْنَاهُمْ وَلَكِنْ كَانُوا هُمُ الظَّالِمِينَ } وَقَالَ تَعَالَى { أَنْ تَقُولَ نَفْسٌ يَا حَسْرَتِي عَلَى مَا فَرَطْتُ فِي جَنْبِ اللَّهِ وَإِنْ كُنْتُ لَمِنَ السَّاخِرِينَ أَوْ تَقُولَ لَوْ أَنَّ اللَّهَ هَدَانِي لَكُنْتُ مِنَ الْمُتَّقِينَ أَوْ تَقُولَ جِئْتُكَ لَعْنَةً لَوْ أَنَّ لِي كَرَّةٌ فَآتِيكَ بِهِ } وَقَدْ جَاءَتْكَ آيَاتِي فَكَذَّبْتَ بِهَا وَاسْتَكْبَرْتَ وَكُنْتَ مِنَ الْكَاذِبِينَ } وَهَذَا كَثِيرٌ فِي الْقُرْآنِ . مفتاح دار السعادة (1/208) .